"الذات" في أدب إقبال

مفهومها، ومعالم بنائها، ودورها في النهوض الحضاري للأمة

محمد أعظم الندوي *

الملخص

تعالج هذه الورقة موضوع الذات في كتابات إقبال: من حيث مفهومها، ومعالم بنائها، ودورها في النهوض الحضاري للأمة، وذلك بتحليل كلمة "خودي" أو الذات، وأثبتت أن إقبال أراد بالذات معرفة النفس، وتعيين الذات، وأن هذه الفكرة هي أساس فكره، وأنه استقى فكرته هذه من القرآن الكريم، والتصوّف الإسلامي، ومع ذلك يوجد تشابه نوعي بين فكره وأفكار الفلاسفة الألمان، ومن ذلك فكرة أن كل موجودات الكون تحمل ذاتاً تهتمّ بها، والذات الإنسانية تفوقها بمواهبها الابتكارية، وعوامل قوتها. وعندما تجتمع ذوات بهذه المواهب والعوامل يتكون المجتمع المثالي، وهذا يتطلب احترام الآخرين، وهذا ما سماه إقبال بنفي الذات. وأظهرت الورقة قدرة فكرة الذات على إنشاء التكامل الفكري، والمعرفي، والنهوض بالأمة حضاريًّا، وأنها تركت أبعاداً واسعة في مجال الإصلاح، والتجديد الفكري.

الكلمات المفتاحية: محمد إقبال، الذات، نفي الذات، التجديد الفكري، النهوض الحضاري.

"Self" in Iqbal Literature:

Its Concept, Building Features, and Role in Cultural Advancement of the *Umma*

Abstract

This paper investigates the topic of "Self or Ego" in Iqbal's writings: its concept, building features, and its role in the *Umma* cultural advancement, through analyzing the term *khodi* = self or ego. When Iqbal talks about self, he means self-knowledge and self-identification. The "self" idea is the basis of Iqbal's thought, were he drew it from the Holy Quran and Islamic Sufism. However we may find a similarity between his thought and thoughts and ideas of German philosophers, especially his idea that all existing things in the universe have an "ego" to care about, and human ego has a superiority due to its innovative talents ant to factors that increase its strength. When egos with such specifications meet, an ideal society is made up. This requires respect for others, and the demand to deny oneself. The paper shows the ability of the ego idea to create intellectual and epistemological integration, to help the *Umman* to achieve cultural advancement and to provide wide horizons in the field of reform and intellectual renewal.

Keywords: Muhammad Iqbal, Self (ego), Self-denial, intellectual renewal, Cultural advancement.

---

* أستاذ الفقه الإسلامي وأصوله بالمعهد العالي الإسلامي بحيدرآباد، فضيلة في الفقه الإسلامي تعادل ماجستير من ندوة العلماء، لكناؤ ٢٠٠٤م، ماجستير في الفلسفة بالقسم العربي لجامعة مولانا آزاد الوطنية الأردية بحيدرآباد ٢٠١٦م، البريد الإلكتروني: mohdazamnadwi@gmail.com

تم تسلم البحث بتاريخ ٢٠١٥/٣/١٠م، وقُبل للنشر بتاريخ ٢٠١٥/١١/١٥م.

مقدمة:

محمد إقبال مفكر إسلامي كبير كرّس حياته للإصلاح، والتجديد الفكري بشاعريته الملهمة، فنجح في تقديم فكرة شاملة تعود نفعها على الأمة، والبشرية جمعاء، واتخذ لذلك منهجاً مبتكراً بعيداً عن التقليد، والمحاكاة. وجعل الذات محور فكرته، فركّز على أخذ كل ما يقوي الذات، وينمّيها، ونبذ كل ما يضعفها، على الصعيدين الفردي، والجماعي، ولا شك في أنه وفق في تعيين مكانة الإنسان في الحياة، وإبراز هوية الإنسان المسلم في الوجود.

ويكتسب هذا البحث أهميته من خلال النقاط الآتية:

١. أصبح الإنسان متاعاً رخيصاً في الوقت الحاضر، فقد أصيب بالظلم، والكبت، وهضم الحقوق.

٢. وقع المسلم المعاصر في حيرة، وقلق، وغدا يشك في إمكانياته، وصلاحياته لما يرى من سوء الفهم بين الناس حكومة وشعباً عن هويته، فتراكمت عليه قضايا حضارية، وسياسية تؤرقه، وتصيبه بمركب النقص، والهوان.

٣. الأمة الإسلامية مهددة بالاختلاف الداخلي على قضايا فرعية، حجبت عن أعينها مهماتها الحقيقية في العالم، فاختفت حضارتها، وتوارت بالحجاب.

ومعلوم أن إقبال اهتم اهتماماً بالغاً بالإنسان، وبالمسلم، وبالأمة، فبلورة فكرته عن الذات سوف تعيد الثقة فيهم.

ويمكن صوغ أهداف البحث فيما يأتي:

١. تعيين مفهوم الذات عند إقبال، والكشف عن معالم بنائها، وتجلياتها.

٢. تجلية دور الإنسان في النهوض الحضاري من رؤية إقبالية عندما يدرك كنه حقيقة ذاته.

٣. الكشف عن جوانب الإصلاح والتجديد مما له صلة بالذات في فكر إقبال.

أما منهجية البحث الذي اتبعه الباحث؛ فهو المنهج الوصفي الذي يعتمد على المعلومات جميعها، ودراستها دراسة مفصّلة تقوم على المقارنة والتفسير؛ بغية الوصول إلى نتائج عامة، كما استخدم المنهج التحليلي الذي يعتمد على عزل عناصر الشيء

الواحد بعضها عن بعض، ودراسة هذه العناصر دراسة جزئية، وإدراك الصلة الرابطة بينها.

أما طبيعة البحوث السابقة فيه؛ فقد ظهر بعد البحث أن هذا الموضوع تناوله معظم من كتب حول إقبال، وثمة أربعة أعمال مستقلة فيه، اثنان بالعربية، هما: "محمد إقبال فيلسوف الذاتية" لحسن حنفي، و"فلسفة الذات في فكر محمد إقبال" لرائد جبار كاظم، وآخران بالأردية، هما: "إقبال كا نظريه خودي" لعبد المغني، و"إقبال كا تصور خودي" لغلام عمر خان. أما حسن حنفي؛ فقد تناول الموضوع بدقة، وربط بعض جوانبها بالنهوض الحضاري، ولكنه جعل نثراً ما قاله إقبال شعراً حول الذات، فنشأ فيه نوع من التعقيد بالنسبة لمن يعرف لغتي شاعرية إقبال الفارسية والأردية، إضافة إلى معرفته بالعربية في تعيين مفهوم الذات. وعلى النقيض من ذلك جعل غلام عمر خان الموضوع موضوعاً فلسفياً بحتاً بعيداً من عذوبة الشعر، وجمال الأدب. وأما رائد جبار كاظم؛ فلم أتمكن من الحصول على كتابه إلا اسمه. وأما عبد المغني؛ فقد أطال في الموضوع، وأبرز جوانبه المختلفة، ولكنه ينقصه التركيز على الذات، وربطه بشعر إقبال، و لم يربط الموضوع بالنهوض الحضاري.

كل ذلك دعاني أن أقوم ببلورة موضوع الذات عند إقبال من شعره الأردي، والفارسي مباشرة. وتشكّل هذا في أقسام ثلاثة: أولاً: مفهوم الذات لغة، وتحديد مفهومها، ومنابعها عند إقبال. وثانياً: أهم معالم بناء الذات عند إقبال. وثالثاً: دور معرفة الذات الفرد، والذات المشتركة في النهوض الحضاري عند إقبال.

أولاً: مفهوم الذات لغة، وتحديد مفهومها ومنابعها عند إقبال

١. الذات في اللغة العربية:

تعني "الذات" وفق المعاجم العربية: "النفس، والشخص".[١] يقول الكفوي: "الذات: هو ما يصلح أن يعلم ويخبر عنه، منقول عن مؤنث "ذو" بمعنى الصاحب...وقد يستعمل استعمال النفس، والشيء، فيجوز تأنيثه وتذكيره."[٢]

[١] مجموعة من العلماء. **المعجم الوسيط**، القاهرة: مجمع اللغة العربية، ٢٠٠٠م، ص٣٠٧.

وقد تطور معناها في ظل التغيرات المعاصرة حتى أصبحت الذات مرادفة للشخصية، ويتجلى ذلك بما ذكره أحمد مختار عبد الحميد عمر في شرح هذه الكلمة، فإنه ذكر تعبيرات مختلفة متصلة بها، يقول: "ذَات (مفرد): ج ذوات: نَفْس، يقال: "جاء ذات الرجل"، و"جاء الرئيس ذاته"، إنكار الذات: تضحية الشّخص برغباته، ابن ذوات: من علية القوم وأكابرهم، اكتشاف الذات: تحقيق التوصُّل إلى تفهُّم ومعرفة الذات، الاعتماد على الذات: الاستقلال في الرأي، الثقة بالذات: الشعور بالقدرة الذاتيّة...تحقيق الذات: تطوير أو تحسين إمكانات الشّخص، وتحقيق الاكتفاء لنفسه... انطواء على الذات: اضطراب تنمويّ، ومن مظاهره عدم الاهتمام بالعالم الخارجيّ، وضعف القدرة على الاتّصال بالآخرين، أو بالأشياء، والاستجابة للدوافع، والرغبات الذاتية."[٣]

٢. الذات في اللغتين الفارسية والأردية:

وأما كلمة الذات التي ظهرت بالعربية معرّبة لكلمة "خودي" التي استخدمها محمد إقبال في شعره الأردي، والفارسي؛ فهي تستخدم في اللغة الفارسية بمعنى القريب، وهو ضد الغريب،[٤] وأما بالأردية؛ فهي تحمل معنيين: معنىً إيجابياً، ومعنىً سلبياً، فالمعنى السلبي: هو الأَثَرة، والفخر، والأنانية، بينما معناه الإيجابي يتضمّن تعرّف الإنسان على نفسه، وتقويتها، والاستقلال بأمرها، وإخراج ما أُودع فيها من إمكانيات،[٥] ويمكن أن يُعبّر عن هذه الكلمة نظراً إلى مواضع استعمالها المختلفة بالاعتزاز بالنفس، وعلوّ الهمة، والاعتماد على الذات، واحترام الذات، والثقة بالذات، والحفاظ على الذات، بل تأكيد الذات حينما يكون ذلك ضرورة لمصالح الحياة، والقدرة على التمسك بقضية الحق، والعدالة، والواجب وما إلى ذلك من صفات الطموح، والتطلع، والتوجّه إلى

[٢] الكفوي، أيوب بن موسى. **الكليات**، بيروت: مؤسسة الرسالة، د.ت، ص٤٥٤.

[٣] عمر، أحمد مختار. **معجم اللغة العربية المعاصرة**، القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠٨م، ج١، ص٨٠٠.

[٤] لغت نامه دهخدا، خودي: http://ww.vajehyab.com

[٥] الدهلوي، سيد أحمد. **فرهنگ اصفيه**، دلهي: قومى كونسل برائے فروغ اردوزبان، ١٩٧٤، ج١، ص٨٧٣. انظر أيضاً:

– نير، نور الحسن. **ونور اللغات**، دلهي: قومى كونسل برائے فروغ اردوزبان، ٢٠٠٠، ج١، ص٦٢٠.

معالي الأمور، والتجافي عن الفتور، والعجز، والميل إلى سفاسف الأمور، ومن المترجمين من عبّر عنها في العربية بالذاتية.

٣. مفهومها في أدب إقبال:

أما إقبال فقد قصد بذلك معناها الإيجابي، فقد وردت في أدب إقبال بمعنى كلمة self الإنجليزية، لا بمعنى كلمة egoالإنجليزية، وإن كان إقبال استعمل هذه الكلمة الأخيرة في محاضراته الإنجليزية كترجمة لكلمة خودى، ولكن توضيحه إياها يشير إلى أنه لا يقصد بذلك الأنانية، بل العناية بالذات، ومن هنا فعندما تمت ترجمة كتابه "أسرار خودى" بقلم نكلسون Nicholson إلى الإنجليزية ظهرت باسم The Secret of the Self. ويقول إقبال نفسه في مقدمة ديوانه: "الأسرار والرموز": "وينبغي أن يعلم القراء أن لفظ "خودي" لا يستعمل في هذه المنظومة بمعنى الأَثَرة، كما تستعمل في اللغة الأردية غالباً، إنما معناها الإحساس بالنفس، أو تعيين الذات."[٦] وجاء في خطاب له كتبه إلى نكلسون الذي نشر في مجلة Quest الإنجليزية سنة ١٩٢١:[٧] "مذهب الأستاذ بريدلي أنّ كلّ مركز للشعور محدود؛ أي كلّ ذات مفردة خداع نظر باطل، وأنا أقول على خلاف هذا: إنّ مركز الشعور المحدود الذي لا يُدرك (الذات) هو حقيقة الكائنات، فالذات حق لا باطل، الحياة كلها فردية، وليس للحياة الكلية وجود خارجي، وحيثما تجلّت في شخص، أو فرد، أو شيء. والخالق كذلك فرد، ولكنه أوحد لا مثل له. وظاهر أن هذا التصور للكائنات يخالف كل المخالفة ما ذهب إليه شرّاح هيكل من محدثي الإنكليز، ويخالف أصحاب وحدة الوجود الذين يرون أن مقصد حياة الإنسان أن يفني نفسه في الحياة المطلقة أو (أنا) المطلق، كما تفنى القطرة في البحر، أرى أن هدف الإنساني الديني والأخلاقي إثبات ذاته لا نفيه، وعلى قدر تحقيق انفراده أو وحدته يقرب من هذا الهدف."[٨]

---

[٦] الغوري، سيد عبد الماجد. **ديوان محمد إقبال: مقدمة الأسرار والرموز**، تعريب: عبد الوهاب عزّام، دمشق: دار ابن كثير، ٢٠٠٧م، ج١، ص١٠-١١.

[٧] إبراهيم، سمير عبد الحميد. **ديوان الأسرار والرموز**، ترجمه: سمير نثراً، لاهور: المكتبة العلمية، ١٩٧٨م، ص٢٤.

[٨] الغوري، **ديوان محمد إقبال: مقدمة الأسرار والرموز**، مرجع سابق، ج١، ص١١٩.

ويظهر من خطاب أملاه محمد إقبال في شرحه لمفهوم خودي على سيد نذير نيازي في صيف ١٩٣٧ يعني قبيل وفاته بشهور أنه حاول كثيراً في اختيار كلمة لفكرته هذه، مثل "أنا"، و"نفس"، و"أنانية"، ولكنه لم يجد كلمة أوفى لإبداء عمّا في ضميره من كلمة "خودي"، هذا من الناحية الأدبية، ومن الناحية الخلقية يرى أن معناها احترام الذات، والثقة في الذات، والحفاظ على الذات، ومثل هذا السلوك خلقيٌّ في نظره؛ إذ إنه يساعد في تكميل قوى الذات، ويضفي عليها صلابة في مقابل قوى الانحلال، والتفكك. ومن الناحية العملية تحمل الذات حقين رئيسيين، ألا وهما الحق في الحياة، والحق في الحرية كما تحددها الشريعة الإلهية.[٩]

وقد استعمل إقبال لتفهيم مفهوم الذات تعبير "الوحدة الوجدانية" أو "نقطة وضاءة للشعور"، ويعني بذلك أن الذات وحدة، تجتمع فيها جميع عناصر الرقي، والتطور، وعوامل الفشل، والإخفاق معاً، فهي تتكون من الكثرة، ولكن هذه الكثرة تقف عند نقطة الوحدة، وتلك النقطة هي "الأنا"، ولكن "الأنا" أشعرها بنفسي، ولا يشعرها غيري، لأنه لا يمكن إدراكها بالحواس الخمس، فوصف تلك الوحدة بالوجدانية؛ أي إنها تدرك بالوجدان، والشعور.[١٠] ويزيد إقبال الأمر وضوحاً عندما قال: "وحقيقتي بتمامها في منزع تدبيري، فأنت لا تستطيع أن تدركني بوصفي شيئاً في مكان أو مجموعة من تجارب في نظام زماني، بل يجب أن تفسرني، وأن تفهمني، وأن تقدّرني في أحكامي، وفي منازعي الإرادية، وفي أهدافي، وآمالي."[١١]

وليس من المعقول تعقيد هذه الفكرة، والتفلسف فيها كما يقول عبد المغني: "الذات شيء عادي وليست نظرية فلسفية، يمكن أن نشرحها بمعرفة الذات، ومعرفة

---

[٩] خليل، عبد الرحمن. **محمد إقبال وموقفه من الحضارة الغربية**، دلهي: أكاديمية إقبال والشاه ولي الله الدهلوي، ١٩٨٨م، ص١٥٠-٥١. انظر أيضاً:

- Razzaqi, Shahid Hussain. *Discourses of Iqbal*. Lahore: Ghulam Ali and sons, 1979, P. 201-3

[١٠] چشتى، يوسف سليم. **شرح أسرار خودي اردو**، نيو دلهي: اعتقاد پبلشنگ هاؤس، ١٩٩٨م، ص٨٢.

[١١] المرجع السابق، ص٨٦.

حدودها، وعرفان النفس، وتزكيتها، وتقويتها، وبناء الشخصية، وتربية الجوهر الذاتي، وتشكيل السلوك."[١٢]

٤. منابع هذه الفكرة:

لا شك في أن الفلاسفة وعلماء النفس اهتمّوا اهتماماً كبيراً بمفهوم "الذات"؛ ولذلك عندما تمت ترجمة كتاب إقبال "أسرار خودي" إلى الإنجليزية زعم بعض المفكرين الغرب أن هذه الفكرة قد سبق إليها ديكارت Descartes، ونيتشه Nietzsche، وهيجل Hegel، وشوبنهور Schopenhauer وغيرهم من الفلاسفة الألمان، وثارت شكوك من هنا وهناك في أصالة هذه الفكرة. ويمكن الإشارة في هذا الصدد إلى ثلاث وجهات نظر مختلفة، تنتمي إلى ثلاث بيئات فكرية: هندية، وعربية وغربية، أما وجهة النظر الهندية؛ فهناك من يرى أن محمد إقبال قد تأثر بنيتشه، وأخذ من أفكاره، لكنه لم يأخذ منه شيئاً إلا بعد أن صبغه بصبغته، وأشار إلى وجهة النظر هذه خليفة عبد الحكيم صاحب كتاب "فكر إقبال" بالأردية، ورأى أن كثيراً من الناس أخطأوا في فهم فكرة الإنسان الكامل عند إقبال، حين شبهوا هذه الفكرة بفكرة الرجل الخارق عند نيتشه،[١٣] وأما وجهة النظر العربية فهناك من يرى أن محمد إقبال أخذ من نيتشه بعض المبادئ التي تحضّ على القوة، والإنسان القوي. وبدلاً عن الإنسان الأعلى عند نيتشه تكلّم إقبال عن الإنسان الكامل، وأشار إلى وجهة النظر هذه علي حسون.[١٤] وأما وجهة النظر الغربية فهناك من يرى تشابهاً وتأثراً بين نظريتي إقبال ونيتشه، وأنهما تلتقيان في تعظيم القوة والدعوة إليها، وأشار إلى وجهة النظر هذه البريطاني دكسن.[١٥]

---

[١٢] عبد المغني. **إقبال كا نظريه خودي**، دلهي: مكتبه جامعه لمىٹڈ، ١٩٩٠، ص١١.

[١٣] خليفة، عبد الحكيم. **فكر إقبال**، لاهور: بزم إقبال، د.ت، ص٣٦٦.

[١٤] علي، حسون. **فلسفة إقبال الشاعر والفيلسوف الباكستاني**، دمشق: دار السؤال للطباعة والنشر، ١٩٨٥م، ص٥٣.

[١٥] خان، غلام عمر. **إقبال كا تصور خودي**، حيدرآباد: اداره ادبيات اردو، ١٩٦٦م، ص٢٨.

أما وجهة نظر إقبال نفسه؛ فقد نفى بشدة أن يكون قد أخذ من نيتشه، أو تأثر به، وعدّ من يقول بهذا الرأي أنه لا يعرف الحقيقة، وهذا نصّ كلامه: "كلّ من حاول إثبات استفادتي من نيتشه فهو لا يعرف الحقيقة، إن نظريتي في الإنسان الكامل قد أبديتها وكتبت فيها قبل أن أعرف نيتشه بسنين طويلة، وقد سبق أن نشرت مقالاً في هذا الصدد منذ فترة طويلة، ثم ألحقته في رسالتي للدكتوراه عن تطوّر ما وراء الطبيعة في إيران عام ١٩٠٨م."[١٦]

ومن أقوى الأدلة على ذلك أن إقبال لا يكثر الاستشهاد بقوله، حتى قال زكي الميلاد: "وحين طالعت كتاب "ما وراء الطبيعة في إيران" وجدت أن إقبال لم يأت فيه على ذكر نيتشه قط، مع كثرة الأسماء التي جاء على ذكرها، وقاربت ستين اسماً ينتمون إلى الفلسفة الأوروبية الحديثة، وأكثرهم من الألمان."[١٧] وكان إقبال يعترف بفضل نيتشه في العلم، وبأنه فيلسوف كبير، ونافذ البصيرة، ووضعه تحت عنوان: "الحكيم نيتشه".[١٨] ولكنه نقده بعدم معرفته التوحيد، والقلب، والعشق، فكأن هذا هو الفرق البيّن بين فكره وفكر نيتشه.

أ. المنبع الحقيقي لهذه الفكرة هو القرآن والتصوف الإسلامي:

مما لا ريب فيه عندي أن إقبال استقى فكرته عن الذات من القرآن الكريم، فهو يذكر في محاضرة ألقاها عن الذات الإنسانية بعنوان: The Human Ego-His freedom and immortality أن القرآن الكريم يؤكد شخصية الإنسان وفرديته، فهناك ثلاثة أمور واضحة كل الوضوح في القرآن:

١. أن الإنسان مصطفىً من الله. قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ ١٢٢﴾ (طه: ١٢٢).

---

[١٦] المرجع السابق، ص٣٥.

[١٧] زكي، الميلاد. "إقبال يحاور فريدريك نيتشه في حضور زاردشت"، **صحيفة عكاظ**، عدد٢٥٨١، ١١ يوليو ٢٠٠٨م.

[١٨] الغوري، **ديوان محمد إقبال: مقدمة الأسرار والرموز**، مرجع سابق، ج٢، ص٧١.

٢. الإنسان خليفة الله في الأرض قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ...﴾ (البقرة: ٣٠). ...

٣. الإنسان أمين على شخصية حرة، أخذ تبعتها على عاتقه، قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ (الأحزاب: ٧٢).[19]

لذلك لما سئل إقبال عن مصدر فكرة الذات عنده أجاب أنه تدبّر في آية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ (المائدة: ١٠٥) فتكشفت له حقيقة مهمة، وهي أن على كل مسلم أن يعمل على تقوية ذاته، ومن هنا اتخذ من هذه الآية الكريمة أساساً لفلسفته عن الذات،[20] يقول في ديوانه "زبور العجم":

فما قولي (أنا) وهي الضياء وفي (إنا عرضنا) ما نشاء[21]

إضافة إلى ذلك استفاد إقبال في تبني هذه الفكرة من التصوّف الإسلامي، ونهل بخاصة من منهل عذب مورود لشعر مولانا جلال الدين الرومي، والمتصفح لأسرار خودي يرى أثر مثنوي الرومي واضحاً فيه. ويذكر إقبال في مقدمة هذا الكتاب أن الرومي هو الذي أيقظه، ونبهه، ودعاه أن يسلك هذا السبيل، وينشر في الناس أفكاره، ويبلغهم رسالته، وهو يعترف للرومي بالإمامة في كثير من أشعاره، ولما نظم إقبال "جاويد نامه" وقصّ فيها أحداث عروجه، جعل الرومي بمثابة جبريل له، ويقول: "إن القطب الرومي المرشد، وصاحب الضمير الصافي هو أمير قافلة العشق السكران، علا مقامه الشمس، والقمر، يجعل من نهر المجرة حبلاً لخيمته، لقد استقرّ نور القرآن في صميم صدره، فغدا جام جمشيد خجلاً أمام مرآته، أنّى لموجٍ يقيم منزله في لجّة بحره، أنا ذاك الذي أوتي السكرة بعد السكرة من صهبائه."[22] كما يعترف بفضل غيره

[19] Muhammad Iqbal. *The reconstruction of religious thought in Islam*. Dodo Press, 1930, P. 113.

[20] إبراهيم، **ديوان الأسرار والرموز**، مرجع سابق، ص٢٨.

[21] الغوري، **ديوان محمد إقبال: مقدمة الأسرار والرموز**، مرجع سابق، ج١، ص٣٨٩.

[22] عبده، خالد محمد. "محمد إقبال نحو سيرة صوفية"، **مجلة دلتا نون**، عدد٢، نوفمبر ٢٠١٤م، ص١٠.

من عظماء الصوفية، فيقول: "إنني أعلن أن فلسفة أسرار خودي برمتها مأخوذة من مشاهدات، وأفكار المتصوفة، وحكماء الإسلام...إنني لم أقدم الأفكار الجديدة في لباس قديم، ولكني أوضحت الحقائق القديمة في ضوء الأفكار الجديدة."[٢٣]

ب. الفرق بينه وبين الصوفية في هذا الصدد:

أثبت إقبال أن الذات شيء بدهي، وهو أن كلّ إنسان يستطيع أن يسمع نداء خفيّاً من داخله، إنني "أنا" موجود، ثم استدل عليه استدلالاً فلسفيّاً، وهو أن كل شيء من أشياء العالم يمكن أن يقع الشك في وجوده، ولكنّ الشيء الوحيد الذي لا يقع فيه مثل هذا الشك هو "الأنا"؛ لأنه هو الذي يستطيع أن يشك، فوجوده يقيني لا محالة؛ ولذلك أثنى إقبال على الحلّاج لقوله: "أنا الحق"؛ لأنه عرف حقيقته، كما استخدم إقبال للذات الإلهية كلمة البحر، التي يستخدمها عامة الشعراء الصوفية، ولكنه يمتاز عنهم في أنه يسمي الإنسان درة يتيمة تتلألأ بضيائها، لا قطرة حقيرة تتلاشى في اليمّ كما يقول بعض الصوفية.

وإقبال لا يقول بمسألة وحدة الوجود، وإنما يؤكد على أن الذات الإنسانية شيء مستقلّ عن الذات الإلهية، فينبغي أن تبقى الذات منفردة، مستقلة بوجودها، والصوفية يشيرون إلى جذب الذات البشرية إلى الذات الإلهية، وفنائها فيها، ولكن إقبال يثبت بتشبيه شعري بليغ أنه يحلو لكل شيء من أشياء الكون أن يحافظ على ذاته، ويستوفي متطلباتها الطبيعية، فإن كانت هي قطرة الندى ينبغي لها أن تتقاطر على ورقات الأزهار، فتتراءى للناظرين، وليس لها أن تقع في البحر، فتفقد وجودها، وتتحول إلى لؤلؤة، يقول: "كل شيء مشغول في إبراز ذاته، وكل ذرة تشهد أن العظمة والكبرياء لله وحده"، ثم يخاطب الإنسان فيشكو فتور همته، ويقول: "كل لؤلؤة كسرت صدفها، أنت الذي لا يتهيأ للظهور."

يرى الصوفية عامة أن الإنسان أغلى شيء في الوجود، ولكن قيمته ليست بإنسانيته، وإنما لأجل أن نور الإله الحقيقي يظهر فيه، ولكنّ إقبال يركز على أن شرفه

[٢٣] إبراهيم، **ديوان الأسرار والرموز**، مرجع سابق، ص٢٧.

لإنسانيته، وهذه هي المكانة السامية للشرف الإنساني التي كشف عنها إقبال في أسلوب شعري بليغ، كما يرى إقبال أن الإنسان أفضل من الملائكة، فالملائكة وإن هم في أعلى السماء، ولكنهم في عمل دائم للإنسان، يغتبطون به، والإنسان يفوقهم لأجل ذاته، وأن الإنسان هو المطلوب الحقيقي للذات الإلهية، وهو في بحث مستمر للإنسان، فالصوفية يقولون: إن نور الإله يتجلى في كل شيء، وإقبال يقول: يتجلى كي يبحث فيه الإنسان، فالإنسان الحقيقي أصبح مفقود الوجود.[٢٤]

ويتجلى من هذه الفروق أن إقبال لم يأخذ هذه الفكرة بكاملها من الصوفية أيضاً، وقد صدق عبد السلام الندوي إذ قال: "إن إقبال لم يأخذ أفكاره برمتها وحذافيرها من الرومي، ولا من نيتشه، ولا من بركسان، ولا من كارل ماركس، ولا من لينن، ولكنه أخذ من هؤلاء الحكماء ما راقه كالنحل، وليس كالذباب."[٢٥]

٥. إثبات الذات ونفي الذات:

يمكن اختزال فلسفة إقبال عن الذات في مبدأين؛ الأول: إثبات الذات، والآخر: نفي الذات، وديوانه: "الأسرار والرموز" جاء في قسمين؛ هما: أسرار إثبات الذات، ورموز نفي الذات، أما إثبات الذات؛ فيتلخص ما كتب محمد إقبال عنه تحت أربعة عناوين، وهي: الإحساس بالذات، وتربية الذات، وتكميل الذات، وثمرة تكميل الذات.

الإنسان مطلع على ذاته، ولكنه يحتاج إلى إثباته للآخرين لمن لا يدركها، وربما لا يدركها نفسه، فيحتاج إلى معرفة كنهها، وحقيقتها، فالذات تثبت نفسها في الحقيقة، ونظراً إلى ذلك جمع إقبال بين البرهان الفلسفي والخيال الشعري لإثبات الذات؛ إذ يقول بياناً لأهميته:

أثبت الذات وفيها حقق فضة كن بالتئام الزئبق[٢٦]

---

[٢٤] الندوي، عبد السلام. **إقبال كامل**، أعظم كره: دار المصنفين، ١٩٩٩م، ص٣٠٠.

[٢٥] المرجع السابق، ص٣٠٨.

[٢٦] إبراهيم، **ديوان الأسرار والرموز**، مرجع سابق، ص١٢.

ويشبّه الذات بالبحر، ويشير إلى ما يقويها، وما يضعفها، فيقول: "الذاتية هي البحر الذي لا ساحل له، ولو اعتقدت أنها ماء نهر فإنك قاصر في الأمل، والخير كل الخير هو الذي يقوي الذاتية، وينميها، وأما الشر فيضعفها، ويعوقها عن الامتداد، وينقصها، ويقف دون ازديادها، فلا تغفل أيها الإنسان عن ذاتيتك، وكن حارس نفسك؛ لأنك قد خلقت لتكون ضياء الطريق، ونبراس الحرم."[٢٧]

أ. مراحل إثبات الذات:

يرى إقبال أن الذات في رحلة إثباتها تمر بثلاث مراحل حتى تصل إلى ذروة كمالها، وهي الخلافة في الأرض، وذلك على النحو الآتي:

- إنشاء المقاصد، وتعيين الأهداف، وتوليد الرغبات: ويعني بذلك أن حياة الذات بالأمل الدائم، وذلك بأن هناك رغبة نطلب تحقيقها، وتحقيق القصد هو الذي يجعل الذات في نشوة السكر من العمل والإبداع، هو الذي يفجر ثورة ضد الباطل، والسكون، والعشوائية، وإن كنا أحياء بتخليق المقاصد فنحن منيرون بشعاع الأمل، فالأمل باعث على الحياة، ولا يموت إلا من لا أمل له.[٢٨]
- النضال المستمر، والكفاح المتواصل: لا يستطيع الإنسان أن يتمتع بالحياة، ولا يكتب له النجاح إلا ببذل الجهود، والعمل المتواصل، يقول:

فاخلق لروحك من زئيرك نشوة في المجد ترهب في العرين أسودا[٢٩]

ويشترط محمد إقبال لهذه المرحلة شروطاً أساسية، أهمها: الطاعة، وضبط النفس، وخلافة الأرض أو النيابة الإلهية بتحقيق الإنسان معنى خلافته عن الله في الأرض، ولا يتحقق ذلك إلا للمؤمن الكامل.[٣٠]

---

[٢٧] الصاوي، علي شعلان. **إيوان إقبال (مختارات من شعره)**، مصر: اللجنة الباكستانية المصرية للاحتفالات المئوية بذكرى إقبال، ١٩٧٧م، ص١٢٩.

[٢٨] الغوري، **ديوان محمد إقبال: مقدمة الأسرار والرموز**، مرجع سابق، ج١، ص١٣٦.

[٢٩] **ديوان الأسرار والرموز**: http://www.shamela.ws، ص١٢.

[٣٠] الصاوي، **إيوان إقبال (مختارات من شعره)**، مرجع سابق، ص١٣٠-٣٤.

– المؤمن الكامل الذي يمثل آخر قوة خودي، ولا يتحقق ذلك إلا بتعيين الأهداف، والجهد الدؤوب، فهذا الإنسان عزيز النفس لا يقبل الإهانة، صبور في كل مجالات الحياة، غني النفس، عفيف لا يسأل الناس شيئاً، لا يخاف أحداً إلا الله، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، يتصف بصفات، ومن أهمها: الإرادة، وحرية الاختيار، والتغلب على مشكلات الحياة، وعدم الخوف من الموت، واعتباره معبراً، وبرزخاً للخلود، وتسخير الكائنات، وإخضاع الوجود، وعدم الافتنان بالدنيا، والجوانب المادية على الرغم من امتلاكها، والسيطرة عليها، والصعود المستمر في مدارج الكمال، والتقرب إلى الذات الإلهية المطلقة، وهي ذات الله سبحانه وتعالى، يقول:

مستسرٌّ في الذات معنى بعيد سرُّه لا إله إلا الله
سيف الذات قاطع غير ناب شَحذه لا إله إلا الله[٣١]

ب. الإنسان الكامل عند إقبال:

الإنسان الكامل في نظر إقبال هو الذي يجمع في شخصيته العناية بالذات، والاهتمام بالعشق، فالأول هو الجانب الجلالي، والثاني هو الجانب الجمالي، فهو فاتح العالم في جانب، ورحمة للعالم في جانب آخر، وصفات الإنسان الكامل عند إقبال هي: الإيمان، وخلود الحياة، وقيادة العالم وتوجيهه، والعلم والروح العلمية، والإنسانية العالمية، والخلافة.[٣٢] ولا غرو، فإن مثل هذه الصفات لا تجتمع إلا في المؤمن الكامل، فهو الإنسان الكامل في نظر إقبال. وقد سلط الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي الضوء على هذه الحقيقة؛ إذ إن إقبال بحث عن الإنسان الكامل الذي يحافظ على ذاته، ويرقيها، ويقويها، ويربط صلتها بالذات الإلهية، فوجد ضالته في الإنسان المسلم، ولكن لم يجد في المسلم الذي يتمتع بالوجود الإنساني، ولم يتذوق حلاوة الوجود الإيماني، بل وجد في المسلم الذي يعتقد اعتقاداً جازماً أن الإيمان هو مفتاح النجاح في الدنيا، والنجاة في الآخرة.[٣٣]

---

[٣١] الغوري، **ديوان محمد إقبال: مقدمة الأسرار والرموز**، مرجع سابق، ج٢، ص٢٣.

[٣٢] حسون، علي. "الإنسان الكامل عند إقبال"، **مؤتمر إقبال (نداء إقبال)**، دمشق، ١٩٨٥، ص٨٠-٨٤.

[٣٣] الندوي، أبو الحسن علي الحسني. **روائع إقبال**، دمشق: دار الفكر، ١٩٦٠م، ص٥٤.

إن صورة الإنسان الكامل التي قدمتها يمكن أن تنطبق على كل رجل مؤمن؛ ولكن إقبال كان يراها عملياً في الرسول ثم في خلفائه وغيرهم من صحابته متمثلة في صدق النية، وعلو الهمة، والشجاعة، والعزوف عن متاع الدنيا، أو الاستسلام للشهوات، وفي بعدهم عن السفسطة، وسفاسف الأمور، فهؤلاء وضعوا عملياً صورة لما يكون عليه الإنسان الكامل، وهو بهذا يتلاقى مع النص القرآني: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ...﴾ (الأحزاب: ٢١). وحقّاً قال غلام عمر: "هذا هو الجوهر الإنساني human monad الذي استخدمه إقبال في مصطلح الشخصية personality أو "خودي"، وهذا هو الذي ينحصر على تشكيله نشأة الشخصية العملاقة أو الإنسان الأعظم."[٣٤]

ت. نفي الذات أو اللاذاتية:

على الرغم من تأكيد محمد إقبال على وجود الشخصية والذاتية لكل فرد، فإنه يؤكد باستمرار في كتاباته الفكرية والشعرية على أنه يوجد نوع من التناسق، والانسجام، والتناغم، والتوافق بين هذه الوحدات أو الفرديات، فكل فرد يُعد قطعة في بناء الوجود الكبير الشامل، يدخل فيه ويتعاون مع مكوناته، فهو منفصلٌ ومتصلٌ في آن واحد، منفصل إذا نظرنا إليه في حدّ ذاته، ومتصلٌ إذا نظرنا إليه في علاقته بالآخرين، ومن هنا دعا إقبال إلى إعادة بناء الهيكل الاجتماعي للأمة الإسلامية الذي سمّاه إقبال "الهيئة الاجتماعية الإسلامية."[٣٥]

إن تعبير نفي الذات يوهم أنه ضد تصور الذات، والشخص العادي لا يستطيع أن يدرك الفرق الدقيق بينهما كما يقول إقبال نفسه:

أنت لم تعرف خودى من بيخودى أنت لا ريب من الشك ردى[٣٦]

---

[٣٤] خان، **إقبال كا تصور خودي**، مرجع سابق، ص٣.

[٣٥] أحمد، فروغ. **إقبال كل فلسفه خودي اور عقيده آخرت**، دلهي: مركزي مكتبة إسلامي پبلیشرز، ٢٠٠٠م، ص١٥.

[٣٦] الغوري، **ديوان محمد إقبال: مقدمة الأسرار والرموز**، مرجع سابق، ج٢، ص١٩١.

لكنه في الحقيقة يفسر النظرية نفسها ويبينها، وتُعد التتمة اللازمة لها، ولتوضيح ذلك كتب إقبال منظومة مستقلة باسم "رموز بيخودي" (رموز نفي الذات)، والحقيقة أن هذا التصور بمثابة الإخلاص Selflessness للآخرين، وإيثار الآخرين على النفس، ومن هنا يكمل إقبال فلسفته بالتأليف بين الفرد، والذات الكاملة، أو بين الفرد والجماعات التي يعيش بينها. ويمكن أن يقال: إن إقبال يدعو إلى تكوين مجتمع مثالي بعيد عن الأَثَرة، وقريب من الإيثار بمصطلح بيخودي (نفي الذات).

ثانياً: معالم بناء الذات عند إقبال

سوف أحاول القيام بإبراز جوانب من أدب إقبال يستدل بها على الطريق إلى بناء الذات، أو تكون مظِنات لتنمية الشخصية الريادية التي يقدمها إقبال في صورة الإنسان الكامل الذي هو خليفة الله في الأرض، وفيما يأتي سأذكر بعض هذه المعالم.

١. العشق:

إن إيجاد عالم جديد هو الغاية القصوى والنهاية في رحلة الذات الطويلة عند إقبال، وهي تتقوى بالمحبة، والعشق، ولكن ما هذا العشق الذي يتحدث عنه إقبال، وما هي حقيقته، وماهيته؟ والحقيقة أن خصائص العشق التي نجدها في الشعر الفارسي لا يوجد لها نظير في الشعر العربي، يقول عبد السلام الندوي: "إن فلسفة الإشراق هي التي قامت بإبراز العشق ومزاياه أولاً، وأقامت لهذا التصور وزناً كبيراً، فإنّ العالم عند الإشراقيين قائم على نظام "القهر والمحبة"، وإليهم مال إخوان الصفا، فقدّموا تصوّرات حول العشق، من أبرزها: أن العالم قائم على نظام العشق، والحب؛ لأن العالم اسم لسلسلة من العلّة والمعلول، وكل معلول يعشق علته، والعلّة تستولي عليه، وتغلبه، وهذا هو التصور الشامل للعشق الذي قدمه مولانا جلال الدين الرومي في شعره الفارسي، والشعراء الفرس عندما أبصروا الكون من خلال هذه الرؤية جعلوا كل اثنين بينهما تجاذب عاشقاً ومعشوقاً، فجعلوا الشمس عاشقة الذرة، والفراشة عاشقة الشمعة، والبلبل عاشق الزهرة، ومن تصوراتهم أن العشق يبغي الاتحاد، فلا يهدأ بال العاشق ما

لم يتحد بالمعشوق، وهذا هو التصور الذي أوجد مسألة وحدة الوجود، وأراد الصوفية الاتحاد بالذات الإلهية، ولكن الجسم لا يتحد مع الجسم، بل الروح تتحد مع الروح، والإله لما أنه روح بكامله، فإرادة الاتحاد به تحتاج إلى إفناء الجسم، وهذا هو التصور الذي تقوم عليه رياضات الصوفية."[٣٧]

أ. العشق جوهر الذات:

يعترض الغرب على الإسلام أنه ليس عنده تصور العشق، ومن ثم نشأ في أتباعه الزهد الجاف، فأثبت إقبال أن العشق جوهر الذات، وأنه يوجد في الإنسان البصيرة الثاقبة، والقوة المتدفقة، ويعرفه حقيقة لا تقيدها الزمان ولا المكان، العقل يسخر العالم المادي، بينما العشق يحسبه ذرة في الفلاة، أو قطرة في اليم، ولا يقيم له وزناً، العشق عند إقبال يتربى في الخلوة؛ لأن التربية الباطنية مكانها الخلوة، ولكن نتيجة هذه التربية ينبغي أن تتجلى في الجلوة، وحياة الرسول ﷺ تجمع بين الخلوة والجلوة، فقد أقام التوازن بينهما، فالعقل يجذب الإنسان إلى الظهور، والعشق يجذبه إلى الخفاء، لكن الحياة لا تكتمل إلا بإيجاد التوسط بينهما.

لو نظرنا إلى عالم الماديات سيكون من الصعب توضيح وجهة نظر إقبال عن العشق، والسبب أن الناس لا يعرفون إلا صوراً مادية للحياة، وبتعبير قرآني ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ۝٧﴾ (الروم: ٧) ومشكلات الحياة العملية أبعدت الناس عن البحث في القلب، والروح، وفي هذه الظروف لا تتعجب إن بدا هذا الموضوع وكأنه لا يزيد عن كونه تخيل شاعر، ولكن الحياة هي تجربة إبداعية، والإبداع درجة عالية لا يمكن الوصول إليها إلا بالتركيز على الهدف، وهو العشق، ومن يتمتع به فلا يحتاج إلى أحد، ويمكنه مواجهة كل الصعاب، وتجعل انتصاره غير محدود.[٣٨]

---

[٣٧] الندوي، **إقبال كامل**، مرجع سابق، ص٢٨٢-٨٩.

[٣٨] زاهد، منير عامر. "علاقة العشق بالتهذيب عند محمد إقبال"، **مجلة دراسات العالم الإسلامي**، فبراير ٢٠١٢م، ص١٧-١٨. انظر أيضاً:

ويرى إقبال أن أهل الشرق، وهم المسلمون، وإن أصيبوا بالتخلف، ولكن قوتهم الحقيقية هو العشق، يقول: "إن المهارة عند الغرب هي بضاعة الحياة، أما عند أهل الشرق؛ فالعشق هو سر الكون، فكل اعتماد الغربيين قائم أساساً على العقل، وأما المسلمون؛ فسر الحياة قائم عندهم على المحبة الإلهية."[٣٩]

ب. صلة تصوره عن العشق بالتصوف الإسلامي:

في تصوّره عن العشق في منظومة "رسالة العشق" أثبت إقبال أن الصلاة رمز العشق، والتضحية للأمة هي من نتائج العشق الحقيقي.[٤٠] ولذلك يرى إقبال أن التصوف الذي لا يستطيع أن يأتي بثورة في حياة الإنسان، ولا يتجاوز من لذة العشق، ورؤية الحق تصوف خامد لا روح فيه ولا حياة،[٤١] والتصوف عنده هو تصوف قوة، وليس تصوف خضوع، وكسل، وهزيمة، وانكسار، وإنكارٍ للذاتية. ومن هنا يلتقي إقبال مع سائر أنصار التجديد في عالمنا العربي والإسلامي الذين رفضوا هذا النوع من التصوف الهادم الذي يجعل الفرد عالةً على الآخرين، ويسلب منه حرية الإرادة الإنسانية، كما يتبين من أبياته الآتية من دواوينه المختلفة:

لا يهاب العشق في السيف المضاء ليس من ماء وترب وهواء
هو في العالم صلح وخصام للحياة الماء من هذا الحسام
نظرة العشق بها شق الصخور هو عشق الحق والحق يصير
فابغ في طينك هذي الكيمياء اقبسن من كامل هذا الضياء
أمرها في الكون طرا يحكم حينما الذات بعشق تحكم

– شيمل، آنا ماري. **أسرار العشق المبدع**، لندن: نشرة مؤسسة الفرقان، ١٩٩٨م.

[٣٩] جمال الدين، محمد السعيد. **رسالة الخلود أو جاويد نامه**، مطابع سجل العرب، ١٩٧٤م، ص١٤٩.

[٤٠] إقبال، محمد. **بانك درا (صلصلة الجرس)**، دلهي: ايجوكيشنل پبلشنگ هاؤس، ٢٠٠١م، ص١٠٧

[٤١] اليافي، عبد الكريم. "إقبال فيلسوف الذات، وشاعر العشق"، **مؤتمر إقبال (نداء إقبال)**، دمشق، ١٩٨٥م، ص٢٥.

ت- تسخير الكون:

من أبرز مظاهر العشق تسخير الكون، فإن كل شيء يجذب ما حوله إلى نفسه، والإنسان كذلك يحمل قوة الجاذبية، وهو أفضل وأقوى شيء في الكون، ولا يجذب إلى ما حوله من الأشياء فحسب، وإنما يريد أن يستولي على سائر الكون، ويجذب العالم بأكمله إلى نفسه، وهذه الجاذبية هي تسخير الطبيعة، قال إقبال:

الحياة الحق تسخير الدنى وإلى التسخير تدعوها المنى[٤٢]

ولها صور ومراحل مختلفة، وأعظم صورها أن الله هو الذي سخّر له الكون، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً...﴾ (لقمان: ٢٠) ومن هنا قال إقبال:

لستَ لهذي الأرض والسماء وإنما السماء والأرض لك[٤٣]

والصورة الثانية هي أن يسخر الإنسان الطبيعة بقوته، وجهوده، فإن إقبال يؤيد العلم، فإن الحياة جهد، وليست استحقاقاً، قال تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ (النجم: ٣٩) والصورة الثالثة أن يسخّر الإنسان الطبيعة بطاقاتها الروحية، وهذه الطاقة لا تتولد بالقوة البدنية، ولا بالقوة العقلية، وإنما تحصل بالعشق فقط.[٤٤]

٢. الفقر:

يعدّ إقبال الفقر من أهم ما يقوي الذات، ويشيد به في مواضع كثيرة من شعره، وهو مفتاح كل خير، والوسيلة إلى كل سؤدد، ومقتحم كل عقبة، حتى جعل الفقر الغيور اسماً ثانياً للإسلام، يقول:

إن قلى الغرب من الإسلام لفظاً فله اسم آخر: الفقر الغيور[٤٥]

---

[٤٢] ديوان الأسرار والرموز: http://www.shamela.ws، ص٤٠.

[٤٣] الغوري، **ديوان محمد إقبال: مقدمة الأسرار والرموز**، مرجع سابق، ج١، ص٤٤٥.

[٤٤] جعفرى، رئيس أحمد. **إقبال اور عشق رسول**، لاهور: شيخ غلام على اينڈ سنز، ١٩٦٣م، ٤٧.

[٤٥] الغوري، **ديوان محمد إقبال: مقدمة الأسرار والرموز**، مرجع سابق، ج٢، ص٣٤.

يتبين من التأمل في شعر إقبال أن الفقر الذي يعنيه هو خلاص النفس، والذات من قيد التملك أو الطمع، وليس هذا المعنى بعيداً عما فسّر به بعض الصوفية الفقر، سئل يحيي بن معاذ عن الفقر فقال: حقيقته أن لا يستغنى إلا بالله، ورسمه: عدم الأسباب كلها.[٤٦] وقال الشبلي: أدنى علامات الفقر أن لو كانت الدنيا بأسرها لأحد فأنفقها في يوم ثم خطر بباله أن لو أمسك منها قوت يوم ما صدق في فقره.[٤٧] نرى في هذه الأقوال أن الفقر ليس عدم التملك، وفوات المال؛ ولكن أن لا يرتبط الإنسان بما أدرك، أو بما فات.

يفرق إقبال بين الفقر والتسوّل، فهو يريد أن يرى في المؤمن صفات الفقر، ولا يريد أن يرى المؤمن فقيراً يتكفف الناس، ولما أن كانت صفات هذا الفقر الغيور توجد بكاملها في الطائر "الشاهين"، فإن إقبال قد اختاره، وقدمه نموذجاً للفقر الإسلامي الذي يتسم بالقناعة، والزهد، والتوكل في معنى الكلمة.[٤٨] ويكشف عن سرّ ذلك في خطاب له إلى أحد من أصحابه، يقول: "إن التشبيه بالشاهين ليس تشبيهاً شعريّاً فحسب، بل يوجد في هذا الطائر سائر صفات الفقر الإسلامي، فإنه يكون عزيز النفس، غيوراً، لا يأكل صيد الآخرين، لا يبني العش، والوكر، يحلّق في علياء السماء، يحبّ الخلوة، ونظرته دقيقة فاحصة."[٤٩]

وقد بدأ تصور الشاهين عند إقبال في "رسالة الشرق" فذكر قوته وعزمه، وأن عمله ليس محدوداً في التقاط الحَبّ من الأرض، وجمع القوت بالتسوّل، ولكن هدفه المنشود هو توسيع حركة الحياة، والزيادة في قدر القوة، ويكون طيرانه في عنان السماء، والبحر، والصحراء، والعالم كله تحت جناح طيرانه، فالطائر العادي تهمّه نفسه، والشاهين يرى العالم كله تحت جناحه، ولذلك يقول: "تب إلى الله من تقليد

[٤٦] القشيري، عبد الكريم. **الرسالة القشيرية**، القاهرة: دار المعارف، د.ت، ص٤٣٠.

[٤٧] المرجع السابق، ص٤٣٣.

[48] Sharif ,M.M. *About Iqbal and his thought*. Lahore: Inst. of Islamic Culture,1976, p.37.

[٤٩] عثماني، طيب. **إقبال شخصيت اور پيام**، دلهي: مركزي مكتبة إسلامي پبلىشرز، ١٩٩٧م، ص١٥٨.

البلبل، والطاوس، فالبلبل ليس إلا الصوت، والطاوس ليس إلا اللون"، والشاهين ليس طائراً يقتنيه الأمير والسلطان كالبازي، والعصفور، فإن هذه الطيور تنزل إلى ملّاكها، والحَبّ، والماء، وتترك رفعة طيرانها، أما الشاهين فيتمتع بالحرية، ولا يعيش على فتات مائدة السلطان.[٥٠]

ودعا إقبال إلى هذا الفقر المثالي الذي لا يعني "عدم الملك، وقلة المال، ولكنه أن لا تكون الدنيا في قلب الإنسان، وإن كانت في يده."[٥١] فها هو ينشد:

لا ترضين فضة بالذات أو ذهبا ولا تبع بشرار ذلك اللهبا
إليك ما قال (الفردوسي) الذي كشفت للفُرس أقواله الأستار والحجبا فلا
(المال يوجد حتى حين تفقده تكن وقحاً إن رمته طلبا)[٥٢]

وعلى النقيض من ذلك يعتقد إقبال أن التسوّل أو التكدّي هو أكبر عائق في سبيل بناء الذات، وأن السؤال سبب المذلة، ويضعف قوة الذات، ويعرّضه للخضوع، والخنوع، يقول:

تجد الإفلاس بالسؤل أذلّ وترى السائل أحزى وأقلّ[٥٣]

ويؤكد أن السؤال يطفئ مصابيح الذات، ويقضي على جوهرها، يقول:

فرّق الذات سؤال واجتداء فبدت سيناؤها دون ضياء[٥٤]

٣. الجهاد والاجتهاد:

إن الجهاد والاجتهاد عنصران أساسيان لتقوية الذات، وبخاصة الذات الاجتماعية، فإن إقبال يؤكد بصراحة أنهما من دعائم بناء الذات. أما الاجتهاد فقد دعا إليه إقبال في كثير من أبياته، وكان يرى أن إبطال الاجتهاد كان من أقوى الأسباب التي أدت

[٥٠] أحمد، عزيز. **إقبال نئی تشکیل**، حيدرآباد: أكاديمية إقبال، ٢٠٠٨م، ص٢٣٠-٣٣.
[٥١] المصري، حسين مجيب. **إقبال والعالم العربي**، مصر: مكتبة الإنجلو المصرية، ١٩٧٦م، ص٢٥.
[٥٢] إقبال، محمد. **ديوان جناح جبريل (صاغه شعراً زهير ظاظا)**، دار إقبال للطباعة والنشر، ١٩٨٩م، ص٣٤٨.
[٥٣] الغوري، **ديوان محمد إقبال: مقدمة الأسرار والرموز**، مرجع سابق، ج١ ص١٤١.
[٥٤] المرجع السابق، ج١ ص١٤٥.

إلى ضعف المسلمين، ونعى على الذين يزعمون أن باب الاجتهاد قد أغلق، ويدعون إلى التقليد في كل حال، كما انتقد الفلسفة الهندية التي تقوم على التقليد، ودافع عن الإسلام الذي يقوم على الاجتهاد، واشتكى أن الإسلام في الهند وقع في التقليد الأثير في الفلسفة الهندية، فطُبع الفقه في الهند بطابع التقليد، وإن عظمة القرآن أنه ترك للناس حرية الإبداع، وليس منهج العبيد، يقول تحت عنوان الاجتهاد:

حكمة الدين كما قد زعموا علِّمت في الهند من أيِّ طريق
ما بها لذّة سعي دائب لا ولا فيها من الفكر العميق
أين منهم جرأة العقل لدى محفل يهفو إلى الفكر مشوق
آه للتقليد والأسر بما ألفوه وزوالِ تحقيق[٥٥]

ولكنه يرجّح التمسك بالتقليد، ويميل إلى عدم حرية الاجتهاد في زمن الانحطاط، وفتور الهمم، وقلة العلم حفاظاً على التقاليد، وتمسكاً بالسنن في مثل عصره المملوء بالفتن والشرور، فاللجوء إلى الماضي خير سبيل لمقاومة الحاضر، والتقليد هو سبيل النجاة، وجمع الأمة، والحفاظ على السنن، يقول:

اجتهاد في زمان القهقرى يذهب الأقوام منه شذّرا
اقتداء برسوم الأولين هو أولى، لا اجتهاد الغافلين[٥٦]

وأما الجهاد فقد أكّد إقبال ضرورته، وأهميته في مواضعه، كما هو مكانته في الدين، فعندما قامت طائفة في الهند تنكر الجهاد، وتقول: إن هذا عصر الدعوة بالقلم، لا القتال بالسيف، وتدعو المسلمين إلى السلم، أخذ عليهم إقبال أنهم يدعون المسلمين إلى السلم، ولا سلاح في أيديهم، ويتركون الأمم المدججة بالسلاح التي تشنّ الحرب عليهم بين حين وحين، فقال:

الشيخ أفتى أنه عصر القلم ما السيف فيه حاكم بين الأمم
أما درى الشيخ بأن وعظه في مسجد قد صار من لغو الكلِم؟

[٥٥] الغوري، **ديوان محمد إقبال: مقدمة الأسرار والرموز**، مرجع سابق، ج٢، ص٢٧.
[٥٦] المرجع السابق، ج١، ص٢١٧.

فما ترى السلاح كفٌّ مسلم بل قلبه من لذّة الموت حُرِم
الحرب في المشرق شرٌّ داهم والحرب في المغرب شرٌّ لا جرم[٥٧]

هذه بعض المعالم التي نجدها في أدب إقبال لتقوية الذات بنوعيه، وهناك معالم أخرى؛ مثل التعليم، والحرية، وما إلى ذلك، أكّدها إقبال، ودعا إليها بقوة، وقد أشرت إليها في ثنايا البحث، ومطاويه.

ثالثاً: دور معرفة الذات الفرد، والذات المشتركة في النهوض الحضاري عند إقبال

رأى إقبال بأن ثمة عوامل مهمة للنهوض الحضاري والمشاركة في بناء المشترك الإنساني، ومن أهم هذه العوامل: الفكرة أو المبدأ، والإنسان، والعلم.

١. أهمية الفكرة والمبدأ عند إقبال:

أما الفكرة أو المبدأ؛ فهي المحدد الأكبر لمصير الأمم والشعوب من حيث التخلف والتقدم، ومن البداوة والتحضر، وهي التي تشكل تصور الأمم لحقيقة الوجود والكون، والإنسان، والحياة. وقد رأينا أنّ إقبال يدعو بشدة إلى اتخاذ المبادئ والقيم في الحياة، وبناء حضارة إسلامية تقوم على ساقها، وتمشي على قدميها؛ ولذلك لم يعجب إقبال بحضارة أوروبا، و لم تأخذه بهجتها، يقول: "ياساكني ديار الغرب ليست أرض الله حانوتاً، إن الذي توهمتموه ذهباً خالصاً سترونه زائفاً، وإن حضارتكم ستبجع نفسها بخنجرها، إن العش الذي يبنى على غصن دقيق لا يثبت."[٥٨] و لم يرض بعض المفكرين بموقف إقبال تجاه الحضارة الغربية، يقول حسن حنفي: "وعلى الرغم من أن إقبال من كبار المصلحين إلا أن موقفه من الغرب أقرب إلى الرفض منه إلى القبول... يرفض إقبال كل مظاهر الحداثة في الغرب باعتباره ضد الدين، ومعادية له، والحداثة تجربة تنموية أصيلة في نظرية المعرفة، والسلوك، وأقرب إلى الاتجاه الإسلامي في الاعتماد

[٥٧] المرجع السابق، ج٢ ص٣١.
[٥٨] إقبال، **بانك درا**، مرجع سابق، ص١١٧.

على العقل، والسيطرة على قوانين الطبيعة."[٥٩] لكن الحقيقة أن إقبال وصل إلى هذا الموقف إزاءها بعد أن عايشها في أوروبا، ورأى هزيمتها المعنوية في عقر دارها، فلم ينكر عقليتها، وجديتها بتاتاً، واعترف بأهل الغرب بأنهم أكثر حفاظاً على ذاتهم من أهل الشرق، وإنما أنكر عليها إقبال إفلاسها المعنوي.

٢. أهمية الإنسان عند إقبال:

أما الإنسان فهو هدف الحضارة ووسيلتها؛ لذلك لا يتخيل وجود حضارة لا تركز على الإنسان اهتماماً بواقعه؛ ولذلك رفع إقبال مكانة الإنسان في أدبه، يقول تحت عنوان: "روح الأرض تستقبل آدم":

فأتى الأرض فقالت إنه آدم جاء
أنت يا آدم فاعلم كنت من طين وماء
حولك العالم فانظر وتمعن في السماء
لك ما في الكون ملك من بحار وفضاء
هذه السحب جميعاً هذه البيد العراء[٦٠]

٣. أهمية العلم عند إقبال:

أما العلم فلا يمكن للمسلمين عند إقبال أن يستعيدوا ريادتهم الحضارية إلا بالعلم الذي يجمع بين القديم الصالح، والجديد النافع، وبين القلب، والمادة، فدعا إقبال المسلمين إلى إصلاح مناهج التعليم، ونقلها من التقليد إلى الإبداع، والمدرسة من المهنة إلى الرسالة؛ وحرّضهم دوماً على التعليم الذي يصنع الحياة، ولا يعتمد فقط على المحاكاة، يقول:

---

[٥٩] حنفي، حسن. **محمد إقبال فيلسوف الذاتية**، بيروت: دار المدار الإسلامي، ٢٠٠٩م، ص٥٧١-٧٢.
[٦٠] إقبال، **ديوان جناح جبريل (صاغه شعراً زهير ظاظا)**، مرجع سابق، ص٢٩٧.

إنمـــا العلـــم وقـــاء للحيـــاة إنـــه للـــذات تقـــويم النجـــاة
للحياة العلـــم والفـــن خـــدم للحياة العلم والفـــن حشـــم[٦١]

قال سمير عبد الحميد إبراهيم: "إن من أهم معالم رسالته الدعوة إلى الاعتماد على النفس، فداء الشرق عامة، والمسلمين خاصة فقدان عزة النفس، وضياع علو الهمـــة، والرضا بالمذلة شعارهم، والصبر على الهوان من طبعهم، لـــذلك يخاطبـــهم: اعـــرف حقيقتك أيها الزارع! لأنك انت الحَبّ، وأنت المزرعة، وأنت الماء، وأنت المحصـــول، هل يرتعش قلبك من خوف الطوفان؟ مع أنك أنت الربّان، وأنـــت البحـــر، وأنـــت السفينة، وأنت الساحل، وا أسفاه على جهلك! لأنك أصبحت محتاجاً إلى الساقي."[٦٢]

من هذا المنطلق عندما نتدارس أدب إقبال نرى أنه يؤكد ضـــرورة إيجـــاد هـــذه الحضارة المتكاملة بعناصرها الثلاثة، وذلك بفكرته عن إثبات الذات، ونفي الـــذات؛ الذات الفرد، والذات المشتركة أي الأمة؛ لأن الغرب دائماً يسعى أن يبقـــى المســـلم نائماً، منشغلاً بقضايا لا تَمُتّ إلى الواقع بصِلة؛ حتى لا يستيقظ، ويثور على واقعـــه، ويُحطِّم الأغلال التي تُقيّده. يُصوِّر إقبال هذه الحقيقة على لسان إبليس عدو الإنســـان الأول؛ إذ يُخاطِب الأبالسة المؤتمرين بأمره في قصيدة برلمان إبليس من ديوانه "أرمغان حجاز": "فابذلوا جُهْدكم أن يَظلّ هذا الدين متوارياً عن أعين النـــاس، وليهـــنكم أن المسلم بنفسه هو ضعيف الثقة بربه، قليل الإيمان بدينه، فخير لنـــا أن يَظـــلّ مشـــتغلاً بمسائل علم الكلام والإلهيات، وتأويل كتاب الله والآيات، اضربوا على أذان المســـلم؛ فإنه يستطيع أن يكسر طلاسم العالم، ويبطل سِحرنا بأذانه وتكـــبيره، واجتهـــدوا أن يطول ليله، ويبطئ سحره، يا شقوتنا! لو انتبهتْ هذه الأمة، التي يَعزِم عليها دينها أن تُراقِب العالم."[٦٣]

---

[٦١] الغوري، **ديوان محمد إقبال: مقدمة الأسرار والرموز**، مرجع سابق، ج١، ص١٣٧.

[٦٢] إبراهيم، سمير عبد الحميد. **إقبال وديوان أرمغان حجاز (هدية الحجاز) عصره، فكـــره، أدبـــه**، باكســـتان: أكاديمية إقبال الباكستانية، ١٩٧٦م، ص٣٤.

[٦٣] الندوي، **روائع إقبال**، مرجع سابق، ص٦٨.

نرى أن كل فكر يُلغي ذاتية الإنسان من قبيل فكرة الفناء، أو الحلول، أو وحدة الوجود، فإقبال يوجه النقد إليه، ويريد أن يعيد بناء الفكر، فأتى بمفاهيم جديدة للذات، والعشق، والفقر وما إلى ذلك. حقاً لقد حاول إقبال محاولة جادّة في الإصلاح، والتجديد الفكري، وأن يعيد التوازن المفقود في زماننا بين الدين والدنيا، وبين الروح والمادة.[٦٤]

٤. اعتراف كبار المفكرين بجهود إقبال في مجال النهوض الحضاري:

نرى كبار العلماء والمفكرين اعترفوا بفضل إقبال في التجديد، والإصلاح، والدعوة إلى النهوض الحضاري بإبراز فكرة الذات في المسلمين، ونفخ روحها فيهم. ذكر أنور الجندي عشر خصائص لشعر إقبال، منها: "أنه حمل لواء الدعوة إلى إخراج المسلمين من التبعية للجبرية الصوفية، والتواكل، والخمول، وفهم الحياة فهماً قريباً من مفهوم الرهبانية، واعتزال الحياة، فدعاهم إلى اقتحام الحياة والعمل، كان لإقبال ولا يزال أثر بعيد في الأدب الإسلامي كله، وما تزال أفكاره، ورؤاه تعطي، وتوحي، وتلهم على مدى العصور في القارة الإسلامية كلها، وليست القارة الهندية وحدها."[٦٥] ويقول محمد كامل موسى: "لم يكن إقبال ابن باكستان وحدها، ولا خادم الشرق وحده، ولا الحاني على العرب وحدهم، لم يكن كذلك شاعر الإسلام، بل كان من أولئك الآحاد الذين وهبوا أنفسهم لنفع بني آدم، وخدمة الإنسانية. كان رائداً من خير روّاد الإصلاح في العصر الحديث."[٦٦] يقول أحمد حسن الزيات: "فهم إقبال الإسلام على حقيقته التي أنزلها الله، وعلى طريقته التي سنها الرسول، وعلى سياسته التي نفذها الصحابة، فهمه على أنه سعادة الحياتين بالإيمان الخالص، وعمارة الدارين بالعمل الصالح، وقوة المشرقين بالوحدة الشاملة. فدعا في "أسرار خودي" إلى تقوية

---

[٦٤] المغربي، أحمد بلحاج آية وارهام. "فلسفة محمد إقبال التجديدية: أسسها الدينية وتأثيراتها في الفكر والأدب المعاصرين".
http://awabbelhaj.arabblogs.com/archive/2007/5/235923.html

[٦٥] الجوهري، عبد اللطيف. **مع إقبال شاعر الوحدة الإسلامية**، مصر: مكتبة النور، ١٩٨٦م، ص١٤٩-٥٠.

[٦٦] أظهر، ظهور أحمد. **إقبال العرب على دراسات إقبال**، لاهور: المكتبة العلمية، ١٩٧٧م، ص٢٢.

الذات في الفرد بالتقوى والحب، وفي "صليل الجرس" إلى يقظة الوعي في المجتمع بالثورة، والجهاد، وفي "رسالة المشرق" إلى توثيق الأخوة الإسلامية في الشرق بالوحدة، والتعاون."[٦٧]

ومن ثم فيأبى إقبال إلا أن يختتم كتابه "تجديد الفكر الديني" بأبيات شعرية من قصيدته "جاويدنامه"؛ إذ أكّد بأسلوب شاعري على أهمية صقل الذات، وتهذيب السلوك، وارتباطهما بالتجديد، يقول:

ما أجلّ أن يصقل الإنسان ذاته!

وأن يختبر رونقها في سطوع الشمس

فاستأنف تهذيب إطارك القديم

وأقم كياناً جديداً

مثل هذا الكيان هو الكيان الحق

وإلا فذاتك لا تزيد على أن تكون حلقة من دخان[٦٨]

خاتمة:

يمكن تحديد نتائج البحث فيما يأتي:

١. إن خودي أو الذات تحمل معنيين: إيجابياً وذلك تعرف الإنسان على نفسه، وإمكانياتها. وسلبياً، وهو الأنانية، والأثرة؛ إذ أراد إقبال من هذا المصطلح المعنى الإيجابي، ووسع نطاقها، فكل شيء من أشياء الكون له ذات تخصه، والذات الإنسانية تفوقها بمواهبها الابتكارية، والذات المؤمنة تفوقها جميعاً بإخضاعها للذات المطلقة وهي الذات الإلهية.

---

[٦٧] المرجع السابق، ص٢٧-٢٨.

[٦٨] إقبال، محمد. **تجديد التفكير الديني في الإسلام**، ترجمة: عباس محمود، القاهرة: دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٠م، ص٢٣٣.

٢. فكرة الذات محور فكر إقبال، وأساسه، فكل فكرة من أفكاره مرده إلى فكرة الذات.

٣. استقى إقبال هذه الفكرة أساساً من القرآن الكريم، ثم التصوف الإسلامي على مبدأ "خذ ما صفا، ودع ما كدر". وما استفاده في هذا الصدد من المفكرين الألمان صبغه بصبغة إسلامية.

٤. مبحث الذات عند إقبال ينقسم إلى قسمين: الذات الفرد، وعبر عنها بـ"خودي" (الذات)، والذات المشتركة؛ أي الأمة، وعبر عنها بـ"بيخودي" (نفي الذات).

٥. إثبات الذات يتطلب عند إقبال تعيين الهدف، والجهد المستمر للوصول إلى مكانة المؤمن الكامل الذي هو خليفة الله في الأرض، وهو الإنسان الكامل عنده.

٦. يتحدث إقبال عن إثبات الذات تحت هذه العناوين: الإحساس بالذات، وتربية الذات، وتكميل الذات، وثمرة تكميل الذات.

٧. نفي الذات لا يعني ذوبانها، وإنما يعني احترام الآخرين بتكوين مجتمع إسلامي مثالي، ومن شروط هذا المجتمع شخصية القائد، وهي شخصية النبي ﷺ، والقاعدة الروحية، ويقصد بها مبدأ التوحيد، والكتاب المقدس، ويقصد به القرآن الكريم، والمركز، ويقصد به بيت الله، والتقاليد، والأعراف، ويقصد بها الآداب المحمدية. ومن صفات هذا المجتمع المثالي عند إقبال العبودية لله وحده، والحرية، والعقيدة، والقناعة.

٨. أبرز معالم بناء الذات: العشق بمعناه الأوسع، والفقر بمعنى التعفف، لا التكفف، والجهاد، والاجتهاد، والإبداع، والحرية، والتعليم.

٩. العوامل المضعفة للذات، هي: الأمية، والسؤال، والتصوف السلبي.

١٠. أبرز عوامل النهوض الحضاري: العناية بالفكرة أو المبدأ، والإنسان، والعلم، وقد أولى إقبال اهتماماً بالغاً بهذه الثلاثة بتقديم فكرته عن الذات، وبيان تجلّياتها، وثمارها.

١١. يتجلى بوضوح أن لمحمد إقبال بصمات واضحة على المجتمع المسلم بهذه الفكرة الإلهامية في مجال الإصلاح، والتجديد الفكري.

١٢. يرى كاتب هذه السطور أن فكرة الذات لمحمد إقبال مثلت دوراً كبيراً في

إبراز هوية المسلمين في المجال الاجتماعي، والمجال التعليمي، والمجال الدعوي بشبه القارة الهندية، كما أثرت تأثيراً واسعاً في ظهور القادة المسلمين على الساحة السياسية في الهند وباكستان بنوعين مختلفين، ولا تزال الفكرة نبراساً للفكر والعمل، ويتجلى ذلك في عناية العلماء والمفكرين بها في كتاباتهم، وباحثي الماجستير والدكتوراه في أبحاثهم الجامعية في الهند وباكستان بصورة خاصة، ولكن الجانب العملي التطبيقي لفكر إقبال في حياة الشعب المسلم الهندي لا يزال ضعيفاً، فليس مستواه الديني والعلمي والفكري حتى الآن ما كان إقبال يريد أن يراه عليه في سعة أفق وشمولية، وليس بخافٍ على مثقف أن المفكرين والعقلانيين المعاصرين على المستوى العالمي ليسوا في غنى عن فكرة الذات في جهودهم الفكرية، والعملية، وليس شيء أدلّ على ذلك من عشرات ندوات فكرية تدرس فكر إقبال العملاق، وأدبه، وجهوده في الإصلاح والتجديد الفكري، إذن ففكرة الذات بالتصور الإقبالي نابضة بالحيوية، وهي ذات صلة وثيقة Relevant بكيان المسلمين، ومستقبل أيامهم، كما أنها مزدهرة حتى في عصر العولمة.

ولعل الوقت مناسب لرد الاعتبار إلى إقبال وفكره من خلال:

١. جمع أبيات "الذات" لفظاً أو دلالة في مجموعة مستقلة، وإدخالها في مقررات الفلسفة والآداب بالمدارس في مراحل مختلفة.

٢. دراسة فلسفة الذات عند إقبال من منابعها الأصلية.

٣. دراستها دراسة مقارنة مع فلسفات المفكرين الغربيين عن الذات.

٤. عقد ورشات لتنمية الشخصية على مستويات مختلفة في ضوء معالم تنمية الذات، ومقوماتها عند هذا الشاعر الفذّ محمد إقبال.